مبنى مهجور في بغداد يتحول إلى جنائن المحتجين المعلقة

بناية المطعم التركي في ساحة التحرير أيقونة رمزية في الحراك الشعبي

تحولت بناية المطعم التركي المطلة على ساحة التحرير وسط بغداد إلى مجتمع عراقي مصغر يجمع بين طوابقه شبه المهجورة شرائح عمرية وطائفية مختلفة، تهتف ضد الفساد المستشري في العراق وتقف حائلا لمنع صعود القناصين عليها.

بغداد – تحولت بناية "المطعم التركي" المطلة على ساحة التحرير وسط بغداد من جهة والمنطقة الخضراء المحصنة من جهة ثانية إلى أيقونة رمزية في الحراك الشعبي وحركة الاحتجاجات المتواصلة التي انطلقت في العراق منذ الأول من أكتوبر الماضي ضد الفساد.

وباتت البناية شبه المهجورة اليوم تغص بالمحتجين الشباب الذين يعتبرونها خط الصد الأول للدفاع عنهم في ساحة التحرير وللاحتماء بجدرانها وطوابقها الفارغة وفوق سطحها من الدخان المسيل للدموع والرصاص المطاطي أو الحي أحيانا، بعد أن كانت في التظاهرات السابقة التي جرت قبل 25 أكتوبر الماضي، تستخدم من قبل القوات الأمنية والمسؤولين للإشراف على عمليات قمع التظاهرات.

ويستغل المتظاهرون البناية لتصوير لقطات حية للسيل البشري الذي يتوافد على ساحة التحرير على الرغم من حظر التجوال المفروض في العاصمة العراقية، إلى جانب رفع المحتجين على واجهتها مطالبهم وشعاراتهم وصور ضحاياهم، بالإضافة إلى حرصهم على منع تسلل القناصين إلى سطوحها، بعد أن استهدف قناصة المتظاهرين بالرصاص الحي في اليوم الأول من المظاهرات.

وكانت واجهة هذا المبنى في الثمانينات تضم شاشة إلكترونية كبيرة لبث الأخبار والإعلانات، وقد استعاد الشباب المعتصمون هذه الوظيفة فاستخدموا واجهة المبنى المطل على ساحة التظاهر لشعاراتهم ولافتاتهم ومدوا علما عراقيا كبيرا على امتداد المبنى إلى جانب اللافتات الضخمة التي حملت شعارات مختلفة، من بينها: الشعار الأكثر ترددا في هذه المظاهرات "نريد وطنا" وشعارات أخرى من أمثال "نازل آخذ حقي" و"ازرع ثورة احصد وطنا" و"ماكو وطن ماكو دوام.. حتى إسقاط النظام".

> لعب مبنى المطعم التركي في ساحة التحرير دورا مهما في بعض الثورات والمسيرات والانتفاضات التي شهدتها العاصمة العراقية بغداد

ونقلت هيئة الإذاعة البريطانية 'بي.بي.سي'، عن الناشط نزار حسين، أحد المشاركين في المظاهرات، قوله إن للمبنى أهمية رمزية كبيرة، بوصفه المكان الذي كانت تستخدمه القوى الأمنية في مظاهرات سابقة كبرج مراقبة يطل على كامل ميدان التظاهر ومكان عال استخدم لتصيد المتظاهرين وقمع وتفريق مظاهراتهم، محيلا إلى تجربة استخدام القوى الأمنية للمبنى في قمع وإخماد الاحتجاجات ضد حكومة رئيس الوزراء السابق نوري المالكي عام 2011.

ويعود إنشاء هذا المبنى المؤلف من 14 طابقا إلى ثمانينات القرن الماضي، إذ أشرفت على بنائه شركة هندية وافتتح في عام 1983. واحتل مرآب سيارات واسع طوابقه السفلى وامتلأت طوابقه الأخرى بالمحلات التجارية لتشكل مركز تسوق كبير.

وعُرف المبنى باسم المطعم التركي بسبب إطلاق هذه التسمية على مطعم احتل الطابق الأعلى منه وامتاز بشرفاته التي تقدم منظرا بانوراميا مطلا على مدينة بغداد، وذلك لأنه اعتمد عند افتتاحه على طاقم تركي بالكامل.

تاريخ مرتبط بالانتفاضات

تعرض هذا المبنى الذي يعد إحدى البنايات الرئيسية في وسط مركز العاصمة العراقية، لقصف أميركي في حرب الخليج الثانية عام 1991، وقد أثر ذلك القصف على هيكله الأساسي، لكن أعيد استخدام بعض طوابقه في أواخر التسعينات كمقر لهيئة الرياضة والشباب في عام 2001.

لعب المبنى دورا مهما في بعض الثورات والمسيرات والانتفاضات التي شهدتها مدينة بغداد، حيث وجهت دبابات أميركية عند اقتحام العاصمة العراقية خلال الغزو الأميركي للعراق عام 2003، بعض القذائف للمبنى ضد المسلحين المقاومين لها المتمترسين فيه.

وفي حركة الاحتجاجات ضد حكومة رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي عام 2011، سُلطت الأضواء على هذا المبنى من جديد عندما استخدمته القوات الأمنية مركزا لمراقبة المظاهرات التي كانت تتمركز تحته في ساحة التحرير وسط العاصمة.

وتحدثت تقارير عن أن الطابق الثامن منه قد تحول حينها إلى ما يشبه مركزا لقيادة العمليات ضد المتظاهرين، تمركز فيه عدد من قيادات قوة عمليات بغداد، وبعض المسؤولين والنواب الموالين للحكومة لمراقبة المظاهرات والإشراف على عمليات قمعها وتفريقها.

وعاش المحتجون العراقيون خلال اليومين الأخيرين من شهر أكتوبر على وقع تحذيرات من أن مبنى المطعم التركي، المهجور منذ عام 2003، يحتوي على تلوث إشعاعي.

إلا أن وزارة الصحة والبيئة العراقية نفت صحة هذه الأخبار قائلة في بيان صحافي إن "الأنباء التي تحدثت عن وجود تلوث إشعاعي في بناية المطعم التركي بساحة التحرير وسط بغداد عارية عن الصحة".

أطلق المحتجون على المبنى عدة تسميات من بينها "جبل أحد" في إشارة إلى الجبل الموجود في المملكة العربية السعودية والذي شهد معركة "أحد" الشهيرة في التاريخ الإسلامي.

كما اتخذ بعض المحتجين من اسم "الجنائن المعلقة"، وهي إحدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم التي ينسب بناؤها للملك نبوخذ نصر الثاني في بابل، اسما لوصف المبنى المطل على نهر دجلة وجانبي مدينة بغداد.

سقوط كل الحواجز

شجع سقوط الحواجز الاجتماعية خلال الاحتجاجات الكثير من الطلبة من جميع المراحل الدراسية بينهم سارة طالبة في كلية الهندسة في كلية دجلة، على الحضور إلى ساحة التحرير الرمزية.

وقالت الطالبة الشابة "عادة ما يفكر الرجال بأننا ضعيفات ولا نقدر على الدخول إلى هذه الأماكن"، مضيفة "هنا يوجد أشخاص من كل الديانات، ومتظاهرون من كل المحافظات، لا تفرقة بينهم، نسينا كل الخلافات وأصبحنا شعبا واحدا".

وتحدثت ريا إحدى المشاركات في المظاهرات عن مساهمتها ونساء عراقيات أخريات في إيصال الأدوية والأغذية التي يتبرع بها الأهالي إلى الشباب المعتصمين هناك، متحدثة عن جهد تطوعي غير مسبوق في دعمهم لدى العوائل العراقية.

وأوضحت أن المتبرعات يُوصلن هذه المواد إلى مرآب السيارات في أسفل المبنى، حيث تتولى مجموعة من سائقي عربات التُك تك نقلها في طوابق المبنى السفلى التي كانت سابقا مرآب سيارات، ثم يتولى شباب آخرون نقلها وتوزيعها على الطوابق الأخرى على سلالم ضيقة أو باستخدام السلال والحبال لسحبها.

كما يستخدم الشباب للصعود إلى طوابق المبنى العالية سقالات بناء متروكة خلفه يتسلقونها لتجنب السلالم الضيقة المكتظة.

وقالت ريا إن هناك مبادرة شبابية لتنظيف المبنى المكتظ بالقمامة والأنقاض حرصا على صحة المتظاهرين المعتصمين في طوابقه، حيث اشترى متطوعون أكياسا وحبالا ومكانس وبكرات للحبال وأوصلوها لهم.

ويحاول المعتصمون الشباب الآن إيجاد آلية تُسهل نقل أكياس الأنقاض والقمامة بالحبال من طوابق المبنى العليا إلى أسفل. ووسط أجواء التضامن تلك تشهد طوابق المبنى تجمعات احتفائية تتخللها الموسيقى والغناء وإلقاء قصائد الشعر الشعبي، حيث يحضر بعض الشباب لإقامة حفل غنائي على سطح المبنى تضامنا مع المتظاهرين بعد أن نجحوا في إيصال التيار الكهربائي إليه.

ويحرص المعتصمون في الأمسيات على إنارة المكان بإشعال الشموع أو شاشات هواتفهم النقالة أو المصابيح اليدوية والتواصل مع المتظاهرين في ساحة التحرير في أسفل المبنى عبر تلك الإشارات الضوئية.

ويحاول بعض الشباب المعتصمين في المبنى تسجيل يومياتهم داخل المبنى مصورين تلك الأجواء الاحتفائية فيه.

ويخلد الشباب في الكثير من مقاطع الفيديو التي يتداولونها عبر وسائل التواصل الاجتماعي لحظات اعتصامهم داخل المبنى وساحة التحرير، حيث أصبحت أجهزة الكمبيوتر المحمولة ووسائل التواصل الاجتماعي الأداة الأولى لـ"الثورة" العراقية ضد الطبقة السياسية، لتمكين المحتجين من التواصل بين بعضهم البعض ولإيصال صوتهم إلى العالم.

وحتى عندما قطعت السلطات العراقية الإنترنت لمدة أسبوعين وشددت الخناق على شبكات التواصل الاجتماعي، تمكن المحتجون من التحايل على هذه الإجراءات من خلال تطبيق "في.بي.أن".

ومن أجل نشر معلوماتهم التي تتناقض مع الرواية الرسمية، يعمد الكثير من الشبان إلى استخدام هواتفهم المحمولة للتصوير والنشر، ولا يترددون أحيانا عن شحن بطارياتها من سيارات الإسعاف وحتى من سيارات الشرطة لمواصلة توثيق الأحداث.

وتجدر الإشارة إلى أن عشرات الآلاف من العراقيين احتشدوا، الثلاثاء الماضي، في ساحة التحرير في خامس يوم على التوالي من الاحتجاجات. وهو أكبر تجمع في العاصمة منذ بدء الموجة الثانية من المظاهرات المناوئة لحكومة رئيس الوزراء عادل عبدالمهدي والنخبة الحاكمة.

مكان استراتيجي لقيادة ثورة ضد الفساد

الاحتجاجات اللبنانية تعيد الحياة لمبنى البيضة وسط بيروت

بيروت – دخلت مجموعات صغيرة من المحتجين اللبنانيين وسط العاصمة بيروت مبنى خرسانيا يُعرف باسم "البيضة" ويحمل ندوبا ناجمة عن طلقات الرصاص خلال الحرب.

وصعد المحتجون اللبنانيون وسط مخاوف من التعرض للسقوط سلالم للوصول إلى هذا المبنى الذي كان يوما دار عرض سينمائي.

ولحقت بهيكل هذا المبنى المقبب الذي صُمم في ستينات القرن الماضي، أضرار بالغة خلال الحرب الأهلية بين 1975 و1990، ثم أصبح مهجورا ليتحول إلى ملاذ للمراهقين الباحثين عن مكان سري للتدخين أو شرب المسكرات.

وبدأ المحتجون قبل أسبوعين بالتدفق على الشوارع للتعبير عن غضبهم من الطبقة السياسية الحاكمة وإصلاح الأماكن غير المحبوبة في عاصمة بلدهم.

وقال شاب اسمه حيدر "هذا المكان الذي كان يثير فضول كل من يمر بمحاذاته في وسط العاصمة بيروت، يعد من الأماكن العامة التي تعود للناس، لم يعد المبنى معزولا أو مهملا، كنّا من قبل نمر من الشارع وننظر إليه فحسب، وهذا المبنى لم نكن نعرف ما هو، والآن يعج بالناس، والذين سنحت لهم الفرصة للتعرف على المكان الذي كان يعيش فيه أجدادنا، إنه لطيف جدا بالفعل".

وحوّل المحتجون مبنى البيضة إلى مكان يجتمعون فيه لعقد جلسات لمناقشة مستقبل الاحتجاجات وما يسعى الناس لتحقيقه، حيث أفادت ستيفاني خليل، فتاة من المحتجين، أثناء جلسة اجتماع السبت الماضي بالمبنى "الكثير من الناس لا يعرفون ما يدور حولهم وما ستؤول إليه الأمور.. نحن هنا لكي نضعهم على الطريق الصحيح ليعرفوا ما لهم وما عليهم من واجبات وحقوق.. وحتى نتمكن من الاستفادة بالشكل الصحيح مما يحدث الآن لنتمكن من إحداث تغييرات إيجابية باتخاذ الخطوات المناسبة ونعرف جيدا ما التغييرات التي نرغب في تحقيقها".

وعلى الرغم من عدم اتضاح الدور الذي سيلعبه المتظاهرون ومستقبل المكان المؤقت لاجتماعاتهم في النظام السياسي الجديد، فقد بدأت الأمور تتغير بالفعل، إذ انصاع رئيس الوزراء سعد الحريري للاحتجاجات ووافق على تقديم استقالة الحكومة الائتلافية.

أما المسنون من السكان فقد دخلوا مبنى البيضة لإلقاء نظرة أخرى على معلم كانوا قد رفضوه منذ زمن باعتباره لا يسُر الناظرين.

وأوضح سالم أديب، أحد المحتجين الذين لم يسبق لهم دخول المبنى من قبل، "أذكر حين بدأ العمل على بناء هذا المبنى.. كان عمري حينها بين 14 و15 سنة، أي قبل اندلاع الحرب الأهلية بسنوات قليلة.. لم تتح لي الفرصة حينها لزيارته إذ كنت صغيرا، لكن اليوم وبفضل الثورة الشعبية كتب لي أن أراه مرة أخرى وعن كثب".

وأضاف أديب (60 عاما) "للأسف عند تدشينه في السبعينات قوبل بردود فعل اتسمت بالسلبية، بسبب شكله الذي كان غير متناسق مع باقي مباني المدينة.. كان في فترة اختبار معماري واعتبر معاصرا جدا حينها".

وعلق محتجون أعلاما بالمبنى بينما رش آخرون جدرانه بكتابات وشعارات تطالب بالثورة وبمشاركة النساء.

أهداف المحتجين تنبع من رحم مبنى مهجور